مخطوط كتاب التجلّيات

للعارف بالله تعالى

أبي محمّد عبدالله بن عليّ بن أحمد الخولانيّ الأندلسيّ

القرن السابع الهجريّ/ الثالث عشر الميلاديّ

دراسة وتحقيق د. علي دحروج

«كتاب التجلّيات»

نظرة في التأويل الصوفيّ لمفهوم التوحيد

تمهيد

كثر الكلام والتأليف حول التصوّف وعن الصوفيّة، واختلفت الأحكام والنتائج بين مؤيّد مبارك لهم، ومنكر يعيب عليهم، وثالث يرى في التصوّف محطّة هامّة ينبغي التوقّف عندها لدراسة أبعادها النفسيّة والاجتماعيّة، فضلًا عن المظاهر السلوكيّة والأخلاقيّة التي غلّفوا بها حياتهم الخاصّة. ولست هنا في هذه الدراسة الموجزة لأصدر حكمًا - مؤيّدًا أو معارضًا - بل لأكشف النقاب عن مفهوم التوحيد كما يراه الصوفيّة، بعيدًا عن تيّارات الفرق والمذاهب الإسلاميّة والتأويلات الفلسفيّة والكلاميّة.

(*) أستاذ في الجامعة اللبنانيّة.

في كتب الصوفيّة نقرأ عبارات: توحيد الذات، توحيد الصفات، توحيد الألوهيّة، توحيد الربوبيّة، الوحدة الشهوديّة، وغيرها ممّا يصعب إدراكه وفهمه لمَن لم يعرف طريقة القوم في التخريج. ولقد جعلوا من قضيّة التوحيد المسألة الأمّ وربطوا وجود الإنسان وحياته بها، لكنّهم فرّقوا بين اعتبار الإنسان من أهل الظاهر أم من أهل الحقيقة، فجاءت عبارتهم كما يشير إليها الطوسيّ في كتاب **اللمع**[1]: «وجدت ليوسف بن الحسين الرازيّ (المتوفّى عام ٣٣٤هـ) في التوحيد ثلاثة أجوبة: جواب منها في توحيد العامّة، وهو الانفراد بالوحدانيّة بذهاب رؤية الأضداد والأنداد والأشباه والأشكال مع السكون إلى معارضة الرغبة والرهبة بذهاب حقيقة التصديق، لأنّه ببقاء حقيقة التصديق لا يسكن إلى معارضة الرغبة والرهبة. والجواب الثاني: توحيد أهل الحقائق على الظاهر، وهو الإقرار بالوحدانيّة بذهاب رؤية الأسباب والأشباه بإقامة الأمر والنهي في الظاهر والباطن بإزالة معارضة الرهبة والرغبة ممّا سواه بقيام شواهد الحقّ مع قيام شواهد الدعوة والاستجابة. والجواب الثالث: توحيد الخاصّة، وهو أن يكون العبد بسرّه ووَجْده وقلبه كأنّه قائم بين يدي الله عزّ وجلّ، تجري عليه تصاريف تدبيره، وتجري عليه أحكام قدرته في بحار توحيده بالفناء عن نفسه وذهاب حسّه، بقيام الحقّ له في مراده منه، فيكون كما كان قبل أن يكون».

ويشير الطوسيّ في موضع آخر من كتابه: «سُئل رُوَيْم بن أحمد بن يزيد البغداديّ (المتوفّى عام ٣٣٠هـ) عن التوحيد فقال: مَحْو آثار البشريّة، وتجرّد الألوهيّة. وإنّما يريد بقوله: محو آثار البشريّة تبديل أخلاق النفس، لأنّها تدّعي الربوبيّة بنظرها إلى أفعالها، كقول العبد: أنا وأنا، لا يقول إلّا الله، إذ الإنِّيَّة لله عزّ وجلّ، فهذا معنى محو آثار البشريّة. ومعنى قوله تجرّد الألوهيّة يعني إفراد القديم عن المحدَثات»[2].

(١) أبو نصر السرّاج الطوسيّ، اللمع، تحقيق د. عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠، ص ٥٠-٥١.
(٢) المرجع السابق، ص ٥١.

حول هذه المعاني جاء كتاب **التجلّيات** أو رسالة التوحيد الإلٰهيّة للعارف بالله تعالى أبي محمّد عبدالله بن عليّ ابن أحمد الخولانيّ الأندلسيّ من علماء القرن السابع الهجريّ - الثالث عشر ميلاديّ.

وموضوع التجلّيات من الموضوعات الكثيرة التي طرقها الصوفيّة وكتبوا فيها رسائل، عبّروا فيها عن أحاسيسهم ووجدانهم القلبيّ بصورة الكشف والمشاهدة، مستخدمين منهج الذوق العرفانيّ للوقوف على سرّ الحقائق ومعرفة الخالق. ومن بين هذه الكتب أو الرسائل كما أشار إليها أصحاب التراجم والمعاجم: **التجلّيات الإلٰهيّة** للشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي (ت ٦١٧هـ) وأوّلها: الحمدلله محكم العقل الراسخ في عالم البرازخ[٣]. ورسالة **التجلّيات الإلٰهيّة في الصورة الإنسانيّة** لابن عربي نفسه، وأولّها: الحمدلله... الذي... تجلّى بعينه لعينه في مراتب الأكوان[٤]. ورسالة **التجلّيات** للشيخ أحمد بن علي بن يوسف البوني، تقي الدين، أبي العبّاس القرشيّ (ت ٦٢٢هـ)، وأوّلها: الحمدلله الذي أخرج الجيم من الظلمة إلى النور[٥]. وهناك كتب ورسائل أخرى تحمل عنوان التجلّيات من وضع الصوفيّة.

وصف المخطوط ومضمونه

تقع رسالة **التجلّيات** التي نحقّقها في اثنتي عشرة ورقة من وجهين متقابلين، في كلّ وجه تسعة عشر سطرًا، بمعدّل عشر كلمات للسطر الواحد تقريبًا. ومقاس الورقة ١٢ × ١٧سم. وقد كتبت بخطّ نسخ جميل ومقروء، خالٍ من التشويهات والتعقيدات، إلّا من بعض الألفاظ التي كتبها المؤلّف نفسه وهو الناسخ لها أيضًا بخطّ يده، وهي مثبتة على

---

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إستبول، ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م، ج ١ ص ٣٥٢.

(٤) إسماعيل باشا البغداديّ، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إستبول، ٦٤- ١٣٦٦هـ/ ٤٥- ١٩٤٧م، ج ٣ ص ٢٢٨.

(٥) حاجي خليفة، كشف الظنون، ١/ ٨٥٢.

هوامش بعض الصفحات، لاستدراك نقص أو لشرح كلمة أخرى. وقد انتهى المؤلّف من نسخها يوم الخميس ٧ صفر ٦٠٦هـ. بمدينة حلب، ممّا يعني أنّ المؤلّف وهو أبو محمّد عبدالله بن عليّ بن أحمد الخولانيّ الأندلسيّ كان حيًّا في بداية القرن السابع الهجريّ، الثالث عشر الميلاديّ، حيث لم نعثر على ترجمة له في سائر كتب التراجم والمعاجم التي رجعنا إليها، ولم نستطع بالتالي أن نتثبّت من ميلاده وحياته. لكنّه يبدو أنّه انتقل من بلاد الأندلس إلى المشرق وتحديدًا بلاد الشام، كما هو ثابت في الورقة الأخيرة من المخطوط حيث يشير إلى مدينة حلب ليلة انتهائه من نسخ المخطوط. وهجرة الأندلسيّين إلى بلاد المشرق الإسلاميّ والعربيّ كانت معروفة، ولا يزال قبر الشيخ محي الدين بن عربي في دمشق شاهدًا على هذه الهجرات. وقد أمدّتنا كتب التّراجم والسِّير أخبار الكثيرين من صوفيّة الأندلس الذين رحلوا وساحوا في البلاد، وحطّوا رحالهم في بلاد الشام وغيرها.

وهذه الرسالة - المخطوط موجودة في مكتبة الأوقاف العامّة ببغداد، مديريّة الآثار العامّة، قسم حيازة المخطوطات. وهي توجد في مجموع يضمّ عدّة رسائل وكتب ويحمل الرقم (٣٦١٧٥)، ولم تُنشر من قبل.

ومضمون الرسالة يقوم كما أشرت في التمهيد على تجْلِيَة فكرة التوحيد من رؤية صوفيّة، ربّما تكون في ظاهرها بعيدة كلّ البعد عمّا أَلِفَه الإنسان المؤمن العاديّ من ممارسة سلوكيّة في تطبيق مفهوم التوحيد الإلهيّ.

فالتجلّي يعبّرون عنه بإشراق أنوار إقبال الحقّ على قلوب المقبلين عليه. أو هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، وهو على ثلاثة أحوال: تجلّي ذات، وتجلّي صفات الذات، وتجلّي حكم الذات. والأوّل هو المكاشفة أو كشوف القلب في الدنيا، كقول عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (ت ٧٣هـ): كنّا نتراءى الله في ذلك المكان، يعني في

الطّواف. والثاني هو موضع النُّور، وهو أن تتجلّى له قدرته عليه فلا يخاف غيره، وكفايته له فلا يرجو سواه. والثالث يكون في الآخرة[٦]. أمّا التجلّي الذاتيّ فهو ما يكون مبدؤه الذات من غير اعتبار صفة من الصِّفات معها، وإن كان لا يحصل ذلك إلّا بواسطة الأسماء والصِّفات، إذ لا يتجلّى الحقّ من حيث ذاته على الموجودات إلّا من وراء حجاب من الحُجُب الأسمائيّة.

والتجلّي الشُّهوديّ هو ظهور الوجود المسمّى باسم النُّور وهو ظهور الحقّ بصورة أسمائه في الأكوان التي هي صورها، وذلك الظهور هو نفس الرحمن الذي يوجد به الكلّ.

والتجلّي الصفاتيّ ما يكون مبدؤه صفة من الصفات من حيث تعيُّنها وامتيازها عن الذات.

وسرّ التجلّيات هو شهود كلّ شيء في كلّ شيء، وذلك بانكشاف التجلّي الأوّل للقلب، فيشهد أحديّة الجمعيّة بين الأسماء كلّها لاتّصاف كلّ اسم لجميع الأسماء، لاتّحادها بالذات الأحديّة، وامتيازها بالتعيّنات التي تظهر في الأكوان التي هي صورها، فيشهد كلّ شيء في كلّ شيء[٧].

والتوحيد كما يراه الصوفيّة هو معرفة معرفته (الله) الثابتة له في الأزل والأبد، وذلك بأن لا يحضر في شهوده غير الواحد جلّ جلاله. وله مراتب: علم وعين ويقين. فعلمه ما ظهر بالبرهان، وعينه ما ثبت بالوجدان، وحقّه ما اختصّ بالرحمن[٨].

حول هذه المعاني يقرّر صاحب رسالة التجلّيات مفهوم التوحيد في تسعة وثلاثين تجلّيًا ذكرها مرتّبة وأعطى لكلّ تجلّ اسمًا خاصًّا له.

---

(٦) د. محمّد عبد المنعم الحفنيّ، معجم مصطلحات الصوفيّة. بيروت: دار المسيرة، ط ١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠، ص ٤١-٤٢.

(٧) المرجع السابق، ص ٤٢-٤٣.

(٨) المرجع السابق، ص ٥٢.

[illegible] بالله تعالى

عبد الله [illegible] الأندلسي

بخط [illegible]

كتاب [illegible]

قرأه علي صاحبنا البرهان أبو محمد [illegible]

[illegible] سنة [illegible]

صفحة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم * صلى الله على محمد وعلى آله وسلم

الحمد لله الذي جعل الانسان الكامل نسخة الملك، وأدار سبحانه
ونعلى نشرها ونشرها بانفاسه الفلك، فما لك لا تشكر الله ايها
الانسان على ما خولك، وما لك لا تحمده وقد نزلك امرا بين سمائه
وارضه وما فضلك، ووضعك في اول نشأتك ميزانا في ارضه
فما كان اعدلك، جمع لك سبحانه في خلقك بين يديه تمييزا على سائر
خلقه فسواك فعدلك، وفي احسن تقويم خلقك فكملك، وعلى
الصورة الالهية فطرك، وعلى ثمانيتها جبلك، فانزلك خليفة
في الارض الجامعة لاصناف المكلفين من معدن ونبات وحيوان
وانس وجن وملك، وخلع عليك خلع حقايق الاسماء فجملك،
فما بقي ملك في السماوات والارض الا سجد لك، وبرزت الحقيقة
في احسن بنية وقالت هيت لك، فانكحتها بكرا صنتها في لجة
عما [illegible] عما به الحق وصلك، فاديت الامانة الى
اهلها فلم يجر عليك لسان ما اظلمك وما اجهلك، وبسبب ذلك
عن شمسك ما دلك، ولا استتر عنك من لم يزل معك وانزلك

الصفحة الأولى من المخطوط

اشارة لطيفة الى ذلك علمها من علمها انكم لتنجمون في النار
وانا اخذ بحجزكم وانتم تابون واخبر باتقات ان ببلاد البر
طايفة ليس موزا ولا دام عيسى اذا عاينوا الضبع لا يملكون
ان يرموا انفسهم عليه حتى يأكلهم ورايت اناسا من صلحائهم
واحدا وهو انزعاج بمقتضى طبعهم المناسب للمنجذب
اليه كذلك اصحاب النار فافهموا فان الاسرار لا تحتمل
فوق هذا الكشف رتبة فكانت مخالفة حكمة لنهي حكمة
لا مخالفة لحكم لنهي حكم والله يتولانا واياكم بما تولى به
عباده الصالحين
واتى بعض الغرض من هذا الكتاب على حسب الوقت
والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
نقله من خط مؤلفه رضي الله عنه الفقير الى رحمة الله تعالى
عبد الله بن محمد احمد [illegible] الاسبيلي الاندلسي وذلك ليلة
الخميس السابع من شهر صفر سنة [illegible] وستمائة بمدينة حلب عمرها
الله وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الصفحة الأخيرة من المخطوط

أمّا عن عملي فقد قمت بنسخ المخطوط وضبط بعض الكلمات، وخرّجت الآيات والأحاديث المذكورة، كما ترجمت للأعلام الواردة، وشرحت بعض المصطلحات الصّوفيّة، وعلّقت على بعض المفاهيم، وأثبتُ النصّ واضحًا كاملًا مع صورة لبداية المخطوط ونهايته.

نصّ المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على محمّد وعلى آله وسلّم.

الحمدلله الذي جعل الإنسان الكامل معلّم الملك، وأدار سبحانه وتعالى تشريفًا وتنزيهًا بأنفاسه الفلك. فما لك لا تشكر الله أيُّها الإنسان على ما خوّلك، وما لك لا تحمده وقد نزّلك أمرًا بين سمائه وأرضه وما فصلك، ووضعك في أوّل نشأتك ميزانًا في أرضه فما كان أعدلك. جمع لك سبحانه في خلقك بين يديه تميزًا على سائر خلقه فسوّاك فعدّلك، وفي أحسن تقويم خلقك فكمّلك، وعلى الصورة الإلٓهيّة فطرك[9]، وعلى ثمانيتها حملك. فأنزلك خليفة في الأرض[10] جامعة لأصناف المكلّفين من معدن ونبات وحيوان وإنس وجنّ وملَك، وخلع عليك خُلَعَ حقائق الأسماء كلّها فجمّلك، فما بقي ملك في السموات والأرض إلّا وسجد لك[11]. وبرزت الحقيقة في أحسن زينة وقالت: هِيتَ لك. فأنكحتها بكرًا صهباء في لجّة عمياء نكاحًا لم يغنك عمّا به الحقّ وصلك. فأدّيت الأمانة إلى أهلها فلم يجرِ عليك لسان ما أظلمك وما أجهلك. وسبب

---

(٩) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿يآ أيّها الإنسان ما غرّك بربّك الكريم، الذي خلقك فسوّاك فعدّلك، في أيّ صورة ما شاء ركّبك﴾. الانفطار/٦-٨.

(١٠) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وإذ قال ربّك للملآئكة إنّي جاعل في الأرض خليفة...﴾ البقرة/٣٠.

(١١) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وإذ قلنا للملآئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس...﴾ البقرة/٣٤.

ذلك كون عين شمسك ما دلك، ولا استتر عنك مَن لم يزل معك وإن نزّلك فعمّك النّور الاعتصاميّ وشملك، وتخلّصت به من سلطان حناديس هذا الحلك، وخلّصت به تدبيرك وعملك، إذ كنت المدبّر لعالم الكون الذي إن صرفت وجهك عنه ساعة فنى وهلك، وصلّى الله على مَن حكم بين الناس بالقسط وما اتّبع أهواءهم، فكان أحسن خليفة ملك، محمّد بن عبدالله بن عبد المطلب، وعلى آله وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أمّا بعد،

فإنّ الله تبارك وتعالى لمّا أوجد العالم أوجده على ثلاثة[١٢] أنواع من الإيجاد. فنوع أوجده بكُنْ لا غير وهو أكثر العالم[١٣]. ونوع أوجده بكُنْ واليد الواحدة[١٤] كجنّة عدن والقلم وكُتبة التوراة وغير ذلك. ونوع أوجده بكُنْ ويديه[١٥] وهو الإنسان خاصّة، ولذلك خرج على الصورة، كما قال عليه السلام: «إنّ الله خلق آدم على صورته[١٦]». فلمّا أبدع تركيب جسده من كلّ حقيقة في عالم الكون المركّب، وحصلت فيه قوى عالم الأفلاك والأركان، واستعدّ لقبول الفيض الروحانيّ، نفخ فيه الروح، فنطق بالثّناء والحمد لله تعالى. ولكن بعدما انتشر فيه النور، وخرق مسالك ظلمته، فعطس فحمد الله، فقال الله له: يرحمك ربّك يا آدم[١٧]، لهذا خلقتك، فسبقت رحمته به غضبه، أي نتيجة الغضب

---

(١٢) في الأصل: ثلاث، والصواب ما ذكرناه.

(١٣) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿إنّما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كُن فيكون﴾ يس/٨٢.

(١٤) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كلّ شيء وإليه ترجعون﴾. يس/٨٣.

(١٥) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ﴾. ص/٧٥.

(١٦) أخرجه البخاريّ في صحيحه ٤/ ٦٠، مسلم في صحيحه رقم ٢٨، أحمد في مسنده ٢/ ٣١٥، السيوطيّ في الدر المنثور ١/ ٤٨، المتقي الهنديّ في كنز العمّال رقم ١٥٦٢٩، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٨/ ٥٤٩.

(١٧) وبذلك أصبح التشميت سُنّة في الإسلام، أي إذا عطس المرء وقال: الحمد لله، فعلى مَن يسمعه أن يقول له: يرحمك الله. فيردّ العاطس بقوله: يهديني ويهديكم الله. وهذا من آداب الإسلام في الأخلاق.

بخروجه من الجوار الأدنى إلى الجوار الأقصى[١٨]، ومن عالم الراحة إلى عالم المكابدة والمجاهدة[١٩] والاستحالات الرديئة[٢٠]، وجمع له بين يديه تشريفًا وابتلاءً. ولهذا قال تعالى تنبيهًا على التشريف: «يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ»[٢١]. وأوّل مقام حصل فيه مقام الانحراف ومنزل الوسط، وقيل له: مهما ملت إلى جانب ووفيته أنقصت الآخر، ولا يصحّ لك المشي على حكم الوسط لأنك خلقت للإنتاج، فرياحك لواقح، فلا بدّ من الميل. فإن كنت ولا بدّ مائلًا[٢٢]، فهذا تبيين لك لأيّ الجانبين تميل، فأبرز له الأنوار على الجانب الأيسر، وأبرز له الظلم على الجانب الأيمن. وقال في الأيمن: «وهذا صراط ربّك مستقيمًا»[٢٣]. فإن دخلت في هذه الظلم فستحصّل أقصى ما يكون من الأسرار والحكم. هذه الظلمة هي غيب الغيب وحضرة الهيبة والجلال، لا تسلك أبدًا إلّا بنور السالك. فإن كان السالك ذا نور دخل ومشى قدر ما تعطيه قوّته، ثمّ يرجع إلى موقفه وقد حصّل من المعارف المشهديّة ما لا يعرفه إلّا هو خاصّة؛ وتنبعث من هذه الظلمة ريح شديدة تطفئ سُرُج الأفكار، فلا يدخل فيها ذو فكر أبدًا. ولذلك قال صلّى الله عليه وسلّم: «تفكّروا في آلاء الله ولا تتفكّروا في ذاته»[٢٤]. وقد ذكرنا في غير ما موضع من كتبنا لِمَ مُنع من التفكير في الذات، وكذلك كلّ ما لا يستقلّ العقل بإدراكه بهذه المثابة. ثمّ قيل للإنسان: وهذه الأنوار على الجانب

---

(١٨) أي خرج من الجنّة وهبط إلى الأرض بعدما أغواه الشيطان.

(١٩) يقصد المؤلّف أنّه انتقل من الجنّة حيث لا تعب ولا عناء، إلى عالم الأرض والمسؤوليّة ليجاهد ويكافح، وبذلك نطقت الآية الكريمة: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾. البلد/ ٤.

(٢٠) في الأصل: الردية.

(٢١) صٓ/ ٧٥.

(٢٢) في الأصل: مايلًا.

(٢٣) الأنعام/ ١٢٦.

(٢٤) أخرجه ابن كثير في تفسيره ٧/ ٤٤١، والهيثميّ في مجمع الزوائد ١/ ٨١، السيوطيّ في الدرّ المنثور ٢/ ١١٠، والمتقي الهنديّ في كنز العمّال رقم ٥٧٠٦، والزبيديّ في إتحاف السادة المتقين ١/ ١٦٢، ٢/ ٥٣٦.

الأيسر أنوار الهداية، تبصّر الجهل حالة الوقتيّة عند مصادمة الأضداد على نقطة واحدة فيتمانعان، فصاحبه في ظلمة أبدًا فليس بصاحب عمل، والشك حالة الشروع في العمل على غير قدم صدق، لكنّه اتباعٌ لظاهر ما هُمُ الخلق عليه، لعلّهم يكونون على حقّ فيتّهم نفسه ويتّهم الخلق، لكن يغلب عليه تهمته لنفسه. والظنّ حالهُ التغليب، فإنّه ينظر بعين القلب، والقلب لا ثباتَ له على حال، سريع التقلّب، ما سمّي القلب إلّا من تقلّبه. والعلم حالهُ الصدق، فإنّه ينظر بعين الحقّ، فيصيب ولا يخطئ.

١ - تجلّي النشأة

إذا استوت بنية الجسد على أحسن ترتيب وألطف مزاج، ولم يكن فيها تلك الظلمة المطلقة التي تعمي البصائر، ثمّ توجّه عليه النفخ الإلهيّ من الرّوح القدسيّ مقارنًا لطالع يقتضي العلم والصدق في الأشياء، فهذا نظر جِبِلّيّ، صاحبُه مجبول على الإصابة في كلامه في الغالب، بل إذا تكلّم على ما يجده من نفسه من صغره لا يخطئ، وإذا أخطأ فإنّه يخطئ بالعَرَض، وذلك أنّه يترك ما يجده من نفسه، ويأخذ ما اكتسبه من خارج. فقد يكون ما رآه أو سمعه باطلًا، وقد ارتسم في النفس منه صورة فيجدها فينطق بها، فذلك خطأه لا غير. فإذا انضاف إلى هذه الجِبِلّة الفاضلة استعمال الرياضات[٢٥] والمجاهدات[٢٦]، والتشرّف إلى المحل الأشرف والمقام الأقدس، ارتفع الروح الجزئيّ إلى كلّه، فاستشرف على الغيوب من هناك، ورأى صور العالم كلّه في قوّة النفس الكلّيّة ومراتبه فيها، وما

(٢٥) الرياضة عند الصوفيّة نوعان: رياضة أدب وهو الخروج عن طبع النفس، ورياضة طلب وهو صحّة المراد له. وبالجملة هي عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسيّة، فإنّ تهذيبها تمحيصها عن خلطات الطبع ونزعاته. وقيل الرياضة ملازمة الصلاة والصوم، والمحافظة عن موجبات الإثم آناء الليل والنهار، وسدّ باب النوم، والبعد عن صحبة القوم. أنظر: معجم مصطلحات الصوفيّة، ١١٦.

(٢٦) المجاهدة عند الصوفيّة هي صدق الافتقار إلى الله تعالى بالانقطاع عن كلّ ما سواه. وقيل بذل النفس في رضاء الحقّ، وقيل فطام النفس عن الشهوات ونزع القلب عن الأماني والشبهات. أنظر: معجم مصطلحات الصوفيّة، ص ٢٣٦.

حظّ كلّ شيء من العلم ومكانه، وزمان كلّ ذلك بعلم واحد ونظر واحد، فيترل إلى محلّ تفصيل الكون فيعرفه بالعلامات، وهذا لأفرادٍ خلقهم الله على هذا النّعت عناية أزليّة سبقت لهم. وبهذا النوع وُجدت الكَهَنَة، غير أنّهم لم ينضف إلى هذه النشأة المباركة استعمال رياضة ولا تشوّف، فصدقت خواطرهم في الغالب. وفي حكم النادر يخطئون. وللروحانيّات لأصحاب هذه النشأة تطلّع كثير وتأمّل لتلك المناسبة، وهي اللّطانة الأصليّة، فيمدّونهم بحسب قواهم. وإنّما حُرِموا الجناب العزيز الإلهيّ المخصوص به الأولياء من عباد الله تعالى، فهنيئًا لهم.

٢ - تجلّي الخاطر

الخواطر الأُوَل ربّانيّة كلّها، لا يخطئ القائل[٢٧] بها أصلًا، غير أنّ العوارض تعرض لها في الوقت الثاني من وقت إيجادها إلى ما دونه من الأوقات. فمَن فاته معرفة الخواطر الأُوَل وليس عنده تصفية خلقيّة فلا رائحة له من علم الغيوب، ولا يعتمد على النفس فإنّه أماني.

٣ - تجلّي الاطّلاع

إذا صفا العبد من كدورات البشريّة، وتطهّر من الأدناس النفسيّة، اطّلع الحقّ سبحانه عليه إطّلاعة يهبه فيها ما يشاء من علم الغيب بغير واسطة، فينظر بذلك النور، فيكون ممّن يتّقى ولا يتّقي هو أحدًا. ومهما[٢٨] بقيت فيه بقيّة من اتّقاء الأولياء وهو الخوف من الصالحين، فبقي فيه حظّ نفسيّ. ولقد بلغني عن الشيخ أبي الربيع[٢٩] الكفيف الأندلسيّ لمّا كان بمصر أنّه سمع أبا عبد الله القرشيّ[٣٠] المبتلى وهو

---

(٢٧) في الأصل: القايل.

(٢٨) في الأصل: مهمى.

(٢٩) هو سليمان بن موسى بن سالم بن إبراهيم بن صافي الكلاعي، الحافظ أبو الربيع، الغرناطيّ الأندلسيّ المالكيّ. توفّي عام ٦٣٤هـ. له العديد من الكتب والمصنّفات. هدية العارفين ١/٣٩٩.

(٣٠) هو محمّد بن أحمد بن إبراهيم، أبو عبد الله القرشيّ الهاشميّ. ولد عام ٥٤٤هـ/ ١١٥٠م وتوفّي عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م. زاهد، من الأندلس. رحل إلى مصر ثمّ=

يقول: اللّهم لا تفضح لنا سريرة. فقال له الشيخ: يا محمّد، ولأيّ شيء تظهر لله تعالى ما لا تظهره للخلق. هلّا استوى سرّك وعلانيّتك مع الله، هذا من خبث السّريرة، فتنبّه القرشيّ واعترف، واستعمل ما دلّ عليه الشيخ وأنصف، فرضي الله عنهما من شيخ وتلميذ. وهذا نوع عجيب من التجلّيات.

٤ - تجلّي تارة وتارة

إذا جمعك الحقّ به فرّقك عنك فكنت فعّالًا وصاحب أثر ظاهر في الوجود. وإذا جمعك بك فرّقك عنه فقمت في مقام العبوديّة، فهذا مقام الولاية وحضور البساط وذلك مقام الخلافة والتحكّم في الأغيار، فاختر أيّ الجمعين شئت[٣١]. فجمعك بك أعلى لأنّه مشهود لا عينًا، وجمعك به غيبته عنك بظهوره فيك، وهذه غيبة غاية الوصول والاتّصال الذي يليق بالجناب الأقدس وجناب اللطيفة الإنسانيّة[٣٢]. إنّ الذين يبايعونك إنّهم ليبايعون الله[٣٣] دونك فاعتبر.

٥ - تجلّي الوصيّة

أوصيك في هذا التجلّي بالعلم وتحفّظ من لذّات الأحوال فإنّها سموم قاتلة وحُجُب مانعة، فإنّ العلم يستعبدك له وهو المطلوب منّا ويحضرك معه، والحال يسوّدك على أبناء الجنس فيستعبدهم لك قهر الحال فتسلّط عليهم بنعوت الربوبيّة، وأين أنت في ذلك الوقت ممّا خلقت له، والعلم أشرف مقام فلا يفوتك.

=القدس وتوفّي بها. له كلمات وجمل في آداب المعاملات وطرائق الرياضة الروحيّة. أنظر عنه: الأعلام ٥/ ٣١٩ شذرات الذهب ٤/ ٣٤٢، الأنس الجليل ٢/ ٤٨٨.

(٣١) في الأصل: شيت.

(٣٢) هي إشارة إلى القلب عن دقائق الحال. وقيل إشارة تلوح في الفهم وتلمع في الذهن، ولا تسعها العبارة لدقّة معناها. ولذلك قال أبو سعيد ابن الأعرابي: الحقّ يرينك بلطيفة من لدنه تدرك بها ما يريد بك إدراكه. معجم مصطلحات الصوفيّة ٢٢٩.

(٣٣) إقتباس من الآية الكريمة: ﴿إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعون الله﴾. الفتح/ ١٠.

٦ - تجلّي الأخلاق

تتنزّل الأخلاق الإلّهيّة عليك خُلقًا بعد خُلق وبينهما مواقف إلّهيّة مشهديّة عينيّة أعطاها ذلك الخلق تمرّ كالبروق فلا تفوتك، فإنّك لا تفوتها ولا تطلبها، فإنّها نتائج الأوقات، ومَن طلب ما لا بُدّ منه كان جاهلًا، وما اتّخذ الله وليًا جاهلاً.

٧ - تجلّي التوحيد

التوحيد علم[٣٤] ثمّ حال[٣٥] ثمّ علم. فالعلم الأوّل توحيد الدليل وهو توحيد العامّة وأعني بالعامّة علماء الرسوم[٣٦]. وتوحيد الحال أن يكون الحقّ نعتك فيكون هو لا أنت في أنت[٣٧]، «وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى[٣٨]». والعلم الثاني بعد الحال توحيد المشاهدة[٣٩]. فيرى الأشياء من حيث الوحدانيّة فلا يرى إلّا الواحد، وبتجلّيه في المقامات[٤٠] تكون الوحدات. فالعالم كلّه وحدات تنضاف بعضها إلى بعض تسمّى مركّبات يكون لها وجه في هذه الإضافة تسمّى أشكالًا، وليس لغير هذا العالم هذا المشهد.

---

(٣٤) للصوفيّة آراء خاصّة حول مفهوم العلم وتقسيماته، ذكرها د. عبد المنعم الحفني في **معجم مصطلحات الصوفيّة** ص ١٨٦، فليرجع إليها.

(٣٥) الحال هو ما يرد على القلب من طرب أو حزن أو بسط أو انقباض، وتسمّى الحال بالوارد أيضًا. وقيل الأحوال هي المواهب الفائضة على العبد من ربّه، وهناك أقوال أخرى فليرجع إليها. أنظر **معجم مصطلحات الصوفيّة** ٧٣.

(٣٦) أي العلماء الذين يأخذون بظواهر الأشياء وآثارها.

(٣٧) إشارة إلى الاتّحاد والحلول في الذات والصفات.

(٣٨) الأنفال/١٧.

(٣٩) المشاهدة هي المحاضرة والمداناة. وقيل هي رؤية الحقّ ببصر القلب من غير شبهة كأنّه رآه بالعين. وللصوفيّة كلام كثير حول المشاهدة إذ هي عندهم حال يتوصّل إليه الصوفيّ بعد المجاهدة. أنظر: **معجم مصطلحات الصوفيّة** ٢٤٤.

(٤٠) المقام معناه مقام العبد بين يدي الله عزّ وجلّ فيما يقام فيه من المجاهدات والرياضات والعبادات. أنظر: **معجم مصطلحات الصوفيّة** ٢٤٨.

٨ - تجلّي الطبع

قد يرجع العارف[٤١] إلى الطبع[٤٢] في الوقت الذي يدعوه الحقّ منه لأنّه لا يسمع من غيره، إذ لا غير له ندًا أصلًا، وليحفظ نفسه في الرجوع لأنّ للطبع قهرًا تعضده العادات، فينبغي له أن لا يألف ما يقتضيه الطبع أصلًا. ولقد رأينا من هؤلاء قومًا انصرفوا من عنده على بيّنة منه ثمّ ودّعهم وما ناداهم، فألِفوا الطبع باستمرار العادة فتولّد لهم صَمَم من ذلك، فنودوا نداء الاختصاص فلم يسمعوا، فنودوا من المألوفات فسمعوا فضلّوا وأضلّوا. نعوذ بالله من الجور بعد الكور ومن الردّة عن توحيد الفطرة.

٩ - تجلّي إليك ومنك

لله خزائن نسبيّة يرفع فيها توجّهات عبيده المفردين فيقلب أعيانها فتعود أسرارًا إلٰهيّة بعين الجمع[٤٣] وتوجّهاتها بما منهم فيردّها عليهم بما إليهم، ولهم خزائن فيقلبون أعيانها على صورة أخرى فيرفعونها إليه بما منهم، فيقلب أعيانها على صورة أخرى عرفانيّة فيرسلها بما إليهم، فيقلبون عينها في صورة أخرى بما منهم هكذا قلبًا لا يتناهى في الصور، والعين واحدة. فإليهم عرفان ومنهم أعمال.

١٠ - تجلّي الحقّ والأمر

لله رجال كشف عن قلوبهم فلاحظوا جلاله المطلق فأعطاهم بذاته ما يستحقّه من الآداب والإجلال، منهم القائمون بحقّ الله لا بأمره، وهو

---

(٤١) العارف كما يراه ابن عربي هو مَن أشهده الربّ عليه فظهرت الأحوال عن نفسه. والمعرفة حاله. وقال ابن معاذ: إذا ترك العارف أدبه عند معرفته فقد هلك مع الهالكين. والعارفون ثلاثة أصناف: صنف منهم ليس لهم من الحقّ نفس. وصنف منهم يحمّلهم الوجد إلى الحال الذي يتولاّهم الحقّ بالحفظ فيه. وصنف منهم غاب عنهم العرف والعادة واستوى عندهم النطق والصمت وغير ذلك بعناية الحقّ لهم. أنظر: معجم مصطلحات الصوفيّة ١٧٩، اللمع ٥٥-٦٠.

(٤٢) هو عند الصوفيّة ما سبق العلم به في حقّ كلّ شخص. أنظر: معجم مصطلحات الصوفيّة ١٦٧.

(٤٣) عين الجمع اسم من أسماء التوحيد كما يعتقد الصوفيّة.

مقام جليل لا يناله إلّا الأفراد من الرجال، وهو مقام أرواح الجمادات. ومن هذا المقام تذكّرك الجبل وصعق موسى عليه السلام[٤٤]، ولم يفتقر في ذلك إلى الأمر بالتذكّر[٤٥]. والصعق، فهو لا خصايص[٤٦] الله قاموا بعبادة الله على حقّ الله، وهم الخارجون عن الأمر، ولله عبيد قائمون بأمر الله كالملائكة المسخّرة الذين يخافون ربّهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون. وكأصحاب الشرائع وكالمؤمنين الذين ما حصل لهم هذا المقام، فهم القائمون[٤٧] بأمر الله، فهم القائمون[٤٨] بحقوق العبوديّة[٤٩]، وهؤلآئك[٥٠] القائمون[٥١] بحقوق الربوبيّة[٥٢]. فهؤلاء يحتاجون إلى أمر يصرفهم وهؤلآئك[٥٣] يتصرّفون بالذات تصرّف الخاصّة.

١١ - تجلّي المناظر

لله عبيد أحضرهم الحقّ تعالى فيه ثمّ أزالهم بما أحضرهم فزالوا للذي أحضرهم، فكان الحضور عين الغيبة، والغيبة عين الحضور، والبعد عين القرب، والقرب عين البعد، وهذا مقام اتّحاد الأحوال. واجتمعت

---

(٤٤) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ولمّا جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربّه قال ربّ أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكًّا وخرّ موسى صعقًا فلمّا أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين﴾. الأعراف/١٤٣.

(٤٥) في الأصل: بالتذكرك.

(٤٦) هكذا وردت في الأصل، ولعلّه يقصد أهل الله الخاصّين به تعالى.

(٤٧) في الأصل: القايمون.

(٤٨) في الأصل: القايمون.

(٤٩) يرى الصوفيّة أنّ العبادة لعوام المؤمنين، والعبوديّة لخواصّهم، وهي أن ترضى بما يفعل ربّك. وفيها أقوال كثيرة. أنظر: **معجم مصطلحات الصوفيّة** ١٨٣.

(٥٠) في الأصل: هؤلآيك.

(٥١) في الأصل: القايمون.

(٥٢) الربوبيّة اسم للمرتبة المقتضية للأسماء التي تطلب الموجودات، فدخل تحتها العليم والسميع والبصير ونحو ذلك. ولها تجلّيان: معنويّ وصوريّ. فالمعنويّ ظهوره في أسمائه وصفاته منزّهًا كاملًا، والصوريّ ظهوره في مخلوقاته. أنظر: **معجم مصطلحات الصوفيّة** ١٠٩.

(٥٣) في الأصل: هؤلآيك.

بالجنيد[٥٤] في هذا المقام وقال لي: المعنى واحد. فقلت له: لا ترسله بل ذلك من وجه، فإنّ الإطلاق فيما لا يصحّ الإطلاق فيه يناقض الحقائق. فقال: غيبُه شهوده وشهوده غيبه. فقلت له: الشاهد شاهد أبدًا وغيبه إضافة، والغيب غيب لا شهودَ فيه، لا تدركه الأبصار، فالغائب المشهود من غيبه إضافة، فانصرف وهو يقول: الغيب غائب في الغيب. وكنت في وقت اجتماعي به في هذا المقام قريب عهد بسقيط الرفرف أنّي ساقط العرش في بيت من بيوت الله تعالى.

١٢ - تجلّي لا يعلم التوحيد

يا طالب معرفة توحيد ذات خالقه كيفَ لك بذلك وأنت في المرتبة الثانية من الوجود، وأنّى للاثنين بمعرفة الواحد بوجودها. وإن عدمت فيبقى الواحد يعرف نفسه. كيف لك بمعرفة التوحيد وأنت ما صدرت عن الواحد من حيث وحدانيّته وإنّما صدرت عنه من حيث نسبةٍ ما. ومَن كان أصل وجوده على هذا النحو من حيث هو ومن حيث موجده فأنّى له بذوق التوحيد. لا تغرّنك وحدانية خاصّيّتك فإنّها دليل على توحيد الفعل. جلّ معنى التوحيد عن أن يعرفه غيره. فما لنا سوى التجريد[٥٥] وهو المعبَّر عنه عند أهل الطريقة بالتوحيد. وفي هذا التجلّي رأيت النوري[٥٦] رحمه الله.

١٣ - تجلّي ثقل التوحيد

الموحِّد من جميع الوجوه لا يصحّ أن يكون خليفة، فإنّ الخليفة

---

(٥٤) هو الجُنيد بن محمّد بن الجُنيد البغداديّ الخزّاز، أبو القاسم. توفّي عام ٢٩٧هـ/ ٩١٠م. صوفيّ، عالم بالدين. له كلام وأقوال ورسائل. الأعلام ٢/ ١٤١، وفيات الأعيان ١/ ١١٧، حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥.

(٥٥) التجريد هو خلوّ قلب العبد عمّا سوى الله، بمعنى أن يتجرّد بظاهره عن الأعراض، وبباطنه عن الأعواض، وهو ألّا يأخذ من عرض الدنيا شيئًا، ولا يطلب عمّا ترك منها عوضًا، بل يفعل ذلك لوجوب حقّ الله تعالى لا لعلّة غيره. أنظر: معجم مصطلحات الصوفيّة ٤١.

(٥٦) هو أحمد بن محمّد النوري البغداديّ، ويعرف بابن البغويّ. توفّي عام ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م. له أقوال في التصوّف وطريقة خاصّة في الزهد. أنظر: د. عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفيّة ٣٩٧.

مأمور بحمل أثقال المملكة كلّها، والتوحيد يفرده إليه ولا يترك فيه متّسعًا لغيره. قلت للشبلي[57] في هذا التجلّي: يا شبلي: التوحيد يجمع والخلافة تفرّق. فالموحّد لا يكون خليفة مع حضوره في توحيده. فقال لي: هو المذهب، فأيّ المقامين أتمّ؟ فقلت: الخليفة مضطرّ في الخلافة والتوحيد الأصل. فقال لي: وهل لذلك علامة؟ فقلت: نعم. فقال لي: وما هي؟ قلت له: قل: فقد قلت. فقال: أنْ لا يعلم شيئًا ولا يريد شيئًا ولا يقدر على شيء حتّى لو سُئل عن التفرقة بين يده ورجله لم يدرِ، ولو سئل عن أكله وهو يأكل لم يدرِ أنّه يأكل، وحتّى لو أراد أن يرفع لقمة لفمه لم يستطع ذلك لوهنه وعدم قدرته فقبّلته وانصرف.

١٤ - تجلّي العلّة

رأيت الحلّاج[58] في هذا التجلّي فقلت له: يا حلّاج: هل تصحّ عندك عِلّيّة له وأشرت، فتبسّم وقال لي: تريد بقول القائل: ما علّة العِلل ويا قديمًا لم يزل. إن قلت له نعم، قال لي: هذه قولة جاهل. إعلم أنّ الله يخلق العلل وليس بعلّة. كيف يقبل العلّيّة مَن كان ولا شيء، وأوجد لا من شيء، وهو الآن كما كان ولا شيء، جلّ وتعالى لو كان علّة لارتبط، ولو ارتبط لم يصح له الكمال تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا. قلت له: هكذا أعرفه. قال لي: هكذا ينبغي أن يُعرف فأثبت. قلت له: لِمَ تركت بيتك يُخرَّب؟ فتبسّم فقال: لمّا استطالت عليه أيدي الأكوان حين أخليته فأفنيت ثمّ أفنيت ثمّ أفنيت، وأخلفت هارون في قومي فاستضعفوه

---

(٥٧) هو دلف بن جحدر الشبلي، أبو بكر. توفّي عام ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م. ناسك. كان واليًا ثمّ ترك الولاية وعكف على الزهد والعبادة. له أشعار وأقوال في الزهد والتصوّف. أنظر: الأعلام ٢/٣٤١، وفيات الأعيان ١/ ١٨٠، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٨٩، صفة الصفوة ٢/٢٥٨.

(٥٨) هو الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث. توفّي عام ٣٠٩هـ/ ٩٢٢م. فيلسوف صوفي. إتّهم في دينه. له الكثير من الكتب والمصنّفات. أنظر: الأعلام ٢/ ٢٦٠، طبقات الصوفيّة ٣٠٧، البداية والنهاية ١١/ ١٣٢، لسان الميزان ٢/ ٣١٤، ميزان الاعتدال ١/٢٥٦.

لغيبتي، فأجمعوا على تخريبه. فلمّا هدّوا من قواعده ما هدّوا رددت إليه بعد ألفين، فأشرفت عليه وقد خلت به المثلات فأنِفَت نفسي أن أعمُر بيتًا تحكّمت فيه يد الأكوان، فقبضت قبضي عنه، فقيل: مات الحلّاج والحلّاج ما مات، ولكنّ البيت خرب والساكن ارتحل. فقلت له: عندي ما تكون به مدحوض الحجّة. فأطرق وقال: وفوق كلّ ذي علم عليم. لا تعترض، فالحقّ بيدك، وذلك غاية وُسْعي فتركته وانصرفت(٥٩).

١٥ - تجلّي بحر التوحيد

للتوحيد لُجّة وساحل. فالساحل ينقال واللّجة لا تنقال. والساحل يعلم واللّجة تذاق. وقفت على ساحل هذه اللّجة ورميت ثوبي وتوسّطها، فاختلفت عليّ الأمواج بالتقابل، فمنعتني من السباحة، فبقيت واقفًا بها لا بنفسي، فرأيت الجنيد فعانقته وقبلته، فرحّب بي وسهّل. فقلت له: متى عهدك بك؟ فقال لي: مذ توسّطت هذه اللجّة. نسيتني فنسيت الأمد. فعانقني وعانقته وغرقنا فمتنا موت الأبد، فلا نرجو حياة ولا نشورًا.

١٦ - تجلّي سريان التوحيد

رأيت ذا النون المصريّ(٦٠) في هذا التجلّي وكان من أظرف الناس فقلت له: يا ذا النون: عجبت من قولك وقول مَن قال بقولك إنّ الحقّ بخلاف ما يتصوّر ويتمثّل ويتخيّل، ثمّ غشي عليّ، ثمّ أفقت وأنا أرعد، ثمّ زفرت وقلت: كيف تخلّى الكون عنه والكون لا يقوم إلّا به. كيف يكون عين الكون وقد كان ولا كون يا حبيبي يا ذا النون وقبّلته، أنا الشفيق عليك

---

(٥٩) يبدو الموقف الصوفيّ في هذا التجلّي من خلال محاسبة النفس وتهذيبها، وجعلها المسؤولة عن كلّ ما يعرض للإنسان. ففي رأي الحلّاج البيت هو الجسم، وخرابه باستخدام الجوارح (الأعضاء) في غير طاعة الله تعالى. وفي هذا التجلّي أيضًا كما في سائر التجلّيات تبدو فكرة الاتّحاد والحلول والفناء واضحة في كلام الصوفيّة.

(٦٠) هو ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصريّ، أبو الفيّاض أو أبو الفيض، المعروف بذي النون المصريّ. توفّي عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م. زاهد، عابد، فصيح. له شعر وأقوال في التصوّف. أنظر: الأعلام ٢/ ١٠٢، وفيات الأعيان ١/ ١٠١، طبقات الشعراني ١/ ٥٩، لسان الميزان ٢/ ٤٣٧، حلية الأولياء ٩/ ٣٣١.

لا تجعل معبودك عين ما تصوّرته، ولا تخلي ما تصوّرته منه، ولا تحجبك الحيرة عن الحيرة، وقل ما قال، فنفى وأثبت: «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»[٦١]، ليس هو عين ما تصوّر ولا يخلو ما تصوّر عنه. فقال ذو النون: هذا علم فاتني وأنا حبيس، والآن وقد سرّح عنّي، فمَن لي به وقد قبضت على ما قبضت. فقلت: يا ذا النون: ما أريدك هكذا. مولانا وسيّدنا يقول: «وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون»[٦٢]. والعلم لا يتقيّد بوقت ولا بمكان ولا بنشأة ولا بحالة ولا بمقام. فقال لي: جزاك الله خيرًا، قد أبين ما لم يكن عندي وتحلّت به ذاتي، وفتح لي باب الترقّي بعد الموت، وما كان عندي منه خبر. فجزاك الله عنّي خيرًا.

١٧ - تجلّي جمع التوحيد

جمع الأشياء به عين التوحيد. ألا ترى الأعداد هل يجمعها إلّا الواحد. فإن كنت من أهل النظر[٦٣] فلا تنظر في البراهين إلّا بآحادها ولا تنظر منها إلّا بالواحد منك. وإن كنت من أهل السياحات والعبر[٦٤] فليكن هو بصرك كما كان نظرك، فيكون التوحيد يعرف بالتوحيد، فلا يعرف شيء إلّا بنفسه.

١٨ - تجلّي تفرقة التوحيد

إذا فرّقت الأشياء تمايزت، ولا تمايز إلّا بخواصّها، وخاصّية كلّ شيء أحديّته. فبالواحد تجتمع الأشياء وبه تفترق.

١٩ - تجلّي جمعيّة التوحيد

كلّ شيء فيه كلّ شيء، وإن لم تعرف هذا فإنّ التوحيد لا تعرفه. لولا ما في الواحد عين الاثنين والثلاثة والأربعة إلى ما لا يتناهى ما صحّ أن توجد به أو يكون عينها، وهذا مثال على التقريب فافهمه.

---

(٦١) الشورى/١١.

(٦٢) الزمر/٤٧.

(٦٣) هم الحكماء والفلاسفة وأصحاب الاستدلالات، سمّوا بذلك لأنّهم يطلبون الدليل وينظرون فيه.

(٦٤) هم الصوفيّة، سمّوا بذلك لكثرة أسفارهم ومن سياحتهم في البراري.

٢٠ - تجلّي توحيد الفناء

التوحيد فناؤك عنك وعنه وعن الكون وعن الفناء[٦٥].

٢١ - تجلّي إقامة التوحيد

كلّ ما سوى الحقّ مائل[٦٦] ولا يقيمُه إلّا هو ولا إقامة إلّا بالتوحيد. فمَن أقام المائل[٦٧] فهو صاحب التوحيد أي واحد قبل الاثنين فهو مائل[٦٨].

٢٢ - تجلّي توحيد الخروج

أخرج عن السّوى تعثر على وجه التوحيد ولا تقلْ كيف، فإنّ التوحيد يناقض الكيف وينافيه فاخرج تجد.

٢٣ - تجلّي تجلّي التوحيد

التوحيد أن يكون هو الناظر وهو المنظور لا كمَن قال:

إذا ما تجلّى لي فكلّي نواظر   وإن هو ناجاني فكلّي مسامع

فإذا انكشف فيما ظهر وظهر فيما به انكشف فذاك مقام التوحيد. وهذه زمزمة لطيفة تذيب الفؤاد. رأيت في هذا التجلّي أخانا الخرّاز[٦٩] رحمه الله، فقلت له: هذا نهايتك في التوحيد أو هذا نهاية التوحيد؟ فقال: هذا نهاية التوحيد. فقبّلته وقلت له: يا أبا سعيد: تقدّمتمونا بالزمان وتقدّمناكم

---

(٦٥) للصوفيّة كلام طويل حول الفناء. ويقصدون به تبديل الصفات البشريّة بالصفات الإلهيّة دون الذات، فكلّما ارتفعت صفة قامت صفة إلهيّة مقامها، فيكون الحقّ سمعه وبصره كما نطق به الحديث الشريف. أنظر حول هذا الموضوع: معجم مصطلحات الصوفيّة ٢٠٧.

(٦٦) في الأصل: مايل.

(٦٧) في الأصل: المايل.

(٦٨) في الأصل: مائل.

(٦٩) هو أحمد بن عيسى الخرّاز، أبو سعيد. توفّي عام ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م. من مشايخ الصوفيّة الكبار. له عدّة كتب. أنظر: الأعلام ١/١٩١، شذرات الذهب ٢/١٩٢، العبر ٢/٧٧، الموسوعة الصوفيّة ١٣٧.

بما ترى. كيف تفرّق يا أبا سعيد في الجواب بين نهايتك في التوحيد ونهاية التوحيد والعين العين، رلا مفاضلة في التوحيد؟ التوحيد لا يكون بالنسبة هو عين النسبة فخجل فأنسته وانصرفت.

٢٤ - تجلّي توحيد الربوبيّة

رأيت الجنيد في هذا التجلّي فقلت: يا أبا القاسم: كيف تقول في التوحيد بتميز العبد من الربّ؟ وأين تكون أنت عند هذا التميز؟ لا يسمح أن تكون عبدًا ولا أن تكون ربًّا، فلا بُدّ أن تكون في بينونة تقتضي الاستشراف والعلم بالمقامين مع تجرّدك عنهما حتّى تراهما، فخجل وأطرق. فقلت له: لا تُطرق، نِعْم السّلف كنتم، ونِعْم الخلف كُنّا. إلحظ الألوهيّة من هناك تعرف ما أقول. للربوبيّة توحيد وللألوهيّة توحيد. يا أبا القاسم: نَبِّذ توحيدك ولا تطلق، فإنّ لكلّ اسم توحيدًا وجمعًا. فقال لي: كيف بالتلافي وقد خرج عنّا ما خرج ونقل ما نقل. فقلت له: لا تخف. مَن ترك مثلي بعده فما فُقد. أنا النائب وأنت أخي. فقبلته قبلة فعلم ما لم يكن يعلم وانصرفت.

٢٥ - تجلّي ريّ التوحيد

لمّا غرقنا مع الجنيد في لجّة التوحيد ومتنا لمّا شربنا فوق الطاقة وجدنا عنده شخصًا كريمًا، فسلّمنا عليه وسألنا عنه، فقيل لنا: هو يوسف بن الحسين[٧٠] وكنت قد سمعت به، فبادرت إليه وقبّلته وكان عطشانًا للتوحيد فروى. فقلت له: أقبّلك أخرى؟ قال: رويت. فقلت: وأين قولك: لا يروى طالب التوحيد إلّا بالحقّ وقد يروى الدون بما يسقيه مَن هو أعلى منه، ولا رَيّ لأحد فاعلمْ، وتنبّه يوسف وهنا إليّ فاحتضنته ونصبت له معراج الترقّي فيه الذي لا يعرفه كلّ عارف. والمعراج إليه ومنه حظّهم لا غير. وأمّا نحن ومَن شاهد ما شاهدنا فمعارجنا ثلاثة: إليه ومنه

---

(٧٠) هو يوسف بن الحسين بن عليّ، أبو يعقوب الرازيّ. توفّي عام ٣٠٤هـ/ ٩١٦م. عالم بالكلام والتصوّف. له أشعار وأقوال سائرة في الزهد. أنظر: الأعلام ٨/ ٢٢٧، طبقات الصوفيّة ١٨٥، طبقات الشعراني ١/ ١٠٠، تاريخ بغداد ١٤/ ٣١٤.

وفيه، ثمّ يرجع عندنا واحدًا وهو فيه، فإنّ إليه فيه ومنه فيه، فعين إليه ومنه فيه، فما ثمّ إلّا فيه، ولا تعرج فيه إلّا به، فهو لا أنت، فتحقّق هذا التجلّي يا سامع الخطاب.

٢٦ - تجلّي من تجلّيات المعرفة

رأيت ابن عطاء[٧١] في هذا التجلّي فقلت له: يا ابن عطاء: إنْ غاص رجل جمل أجللت الله قد أجلّه معك الجمل، فأين إجلالك؟ لماذا تميّزت عن جملك؟ هل كان الرجل من الجمل يطلب في غوصه سوى ربّه؟ قال ابن عطاء: لذلك قلت جلّ الله. قلت له: فإنّ الجمل أعرف بالله منك، فإنّه أجلّه من إجلالك كما يطلبه الرأس في الفوق يطلبه الرجل في التحت، فما تعدّى الرجل ما تعطيه حقيقته. يا ابن عطاء: ما هذا منك بجميل. يقول إمامنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لو دليتم بحبل لوقع على الله»[٧٢]، فكان الجمل أعرف بالله منك. هلا سلمت لكلّ طالب ربّه صورة طلبه كما سلّم لك؟ تُبْ إلى الله يا ابن عطاء، فإنّ الجمل أستاذك. فقال: الإقالة الإقالة. فقلت له: إرفع الهمّة. فقال: مضى زمان رفع الهمم. قلت له: للهمم رفعٌ بالزمان وبغير زمان، زال الزمان، فلا زمان. إرفع الهمّة في لا زمان تنل ما نبّهتك عليه. فالترقّي دائم أبدًا. فتنبّه ابن عطاء وقال: بورك فيك من أستاذ، ثمّ فتح هذا الباب فترقّى فشاهد فحصل من ميزاني وأثرّني وانصرفت.

٢٧ - تجلّي النور الأحمر

سريت في النور الأحمر الشعشعاني وفي صحبتي إبراهيم

---

(٧١) هو أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن سهل بن عطاء الأدميّ. توفّي عام ٣٠٩هـ. له أقوال سائرة في التصوّف. الموسوعة الصوفيّة ٢٩٤.

(٧٢) ورد الحديث بصيغة: «لو دلّيتم أحدكم بحبل إلى الأرض السابعة لقدم على ربّه». أخرجه ابن كثير في تفسيره ٨/٣٣، والسيوطي في الدر المنثور ٦/١٧٠، وابن الجوزيّ في العلل المتناهية ١/١٤، وكذلك ورد بصيغة: «لو دلّيتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلى السابعة لهبط على الله». ذكره ابن الجوزيّ في العلل المتناهية ١/١٣.

الخوّاص (٧٣)، فتنازعنا الحديث فيما يليق بهذا التجلّي وما يعطيه حقيقته، فما زلنا على تلك الحالة، وإذا بعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه مارًا في هذا النور مسرعًا فمسكته، فالتفت إليّ فقلت: هو هذا. فقال: هو هذا وما هو هذا، كما أنا وما أنا، وأنت وما أنت. قلت: فثمّ ضدّ. قال: لا. قلت: فالعين واحدة. قال: نعم. قلت: عجبٌ. قال: هو عين العجب. فما عندك؟ قلت: ما عندي عندانا، عين العند. قال: فأنت أخي. قلت: نعم، فواخيته. قلت: أين أبو بكر؟ قال: إمامٌ. قلت: أريد اللحاق به حتّى أسأله عن هذا الأمر كما سألتك. قال: أنظره في النور الأبيض خلف سُرادق الغيب، فتركته وانصرفت.

٢٨ - تجلّي النور الأبيض

دخلت في النور الأبيض خلف سُرادق الغيب فألفيت أبا بكر الصدّيق على رأس الدرجة مستندًا ناظرًا إلى الغرب، عليه حلّة من الذهب الأبهى، له شعاع يأخذ بالأبصار، قد اكتنفه النور ضاربًا بذقنه نحو مقعده، ساكنًا لا يتحرّك ولا يتكلّم، كأنّه المبهوت، فناديته بمرتبتي ليعرفني فإذا به أعرف بي منّي بنفسي. فرفع رأسه إليّ، قلت: كيف الأمر؟ قال: هوذا بنظري. قلت له: إنّ عليًا قال كذا وكذا. قال: صدق عليّ وصدقت أنا أنت. قلت: فما أفعل؟ قال: ما قال لك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ قلت: هو مقامك. قال: هو مقامه صلّى الله عليه وسلّم. قلت: قد وهبه لك. قال: وقد وهبه لك. قلت: هو بيدك. قال: خذه فقد وهبته لك.

٢٩ - تجلّي النور الأخضر

ثمّ نزلت إلى تجلٍّ آخر في النور الأخضر خلف سرادق الحقّ فإذا بعمر بن الخطّاب، قلت: يا عمر. قال: لبّيك. قلت: كيف الأمر؟ قال: هوذا، يقول لي كيف الأمر. فذكرت مقالة أبي بكر وعليّ رضي الله

---

(٧٣) هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، أبو إسحاق الخوّاص، توفّي عام ٢٩١هـ. زاهد، صوفيّ على طريقة الملامتيّة، الموسوعة الصوفيّة ١٥٠.

عنهما، وذكرت له من بعض ما كان بيني وبين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال: خذ المقام. قلت: هو بيدك. قال: قد وهبته لك. قلت: يا عجبًا. قال: لا تعجب، فالفضل عظيم. ألسْت الصّهر المكرّم. خذ النور الممدود فقد جاء الشاهد. إنصِبْ المعراج، رَجّه اليدين.

٣٠ - تجلّي الشجرة

نصبتُ المعراج ورقيت فيه فملكت النور المدود وجعلت قلوب المؤمنين بين يدي. فقيل لي: أشعلها نورًا، فإنّ ظلام الكفر قد اكفهرّ ولا ينفّره سوى هذا النور. فأخذني هيجان في المعراج.

٣١ - تجلّي توحيد الاستحقاق

توحيد استحقاق الحقّ لا يعرفه سوى الحقّ، فإذا وجدناه فإنّما نوحّده بتوحيد الرضى ولسانه، فقنع منّا بذلك. فإذا جاء سلطان توحيد الاستحقاق لم نكن هناك، وكان التوحيد ينبعث عنّا ويجري منّا من غير اختيار ولا همّ ولا علم ولا عين ولا شيء.

٣٢ - تجلّي نور الغيب

كنّا في نور الغيب فرأينا سهل بن عبدالله التستري[٧٤] فقلت له: كم أنوار المعرفة يا سهل؟ فقال: نوران. نور عقل ونور إيمان. قلت: فما مدرك نور العقل وما مدرك نور الإيمان؟ فقال: مدرك نور العقل «ليس كمثله شيء»، ومدرك نور الإيمان «الذات» بلا حدّ. قلت: فأراك تقول بالحجاب. قال: نعم. قلت: يا سهل: حدّدته من حيث لا تشعر، لهذا سجد قلبك من أوّل قدم ووقع الغلط. قال: قل. قلت: حتّى تنزل بين يديّ فجثا. فقلت له: يا سهل: مثلك مَن نسأل عن التوحيد فيجيب، وهل الجواب عنه إلّا السكوت. تنبّه يا سهل. ففني ثمّ رجع فوجد الأمر على ما

(٧٤) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستريّ، أبو محمّد. توفّي عام ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م. إمام في التصوّف. له عدّة كتب. أنظر: الأعلام ٣/ ١٤٣، طبقات الصوفيّة ٢٠٦، وفيات الأعيان ١/ ٢١٨، حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩، طبقات الشعرانيّ ١/ ٦٦.

أخبرناه. فقلت: يا سهل أين أنا منك؟ فقال: أنت الإمام في علم التوحيد، وواخيت بينه وبين ذي النون المصريّ وانصرفت.

٣٣ - تجلّي من تجلّيات التوحيد

نُصب كرسيّ في بيت من بيوت المعرفة بالتوحيد وظهرت الألوهيّة مستوية على ذلك الكرسيّ وأنا واقف، وعلى يميني رجل عليه ثلاثة أثواب: ثوب لا يُرى وهو الذي يلي بدنه، وثوب ذاتيّ له، وثوب مُعار عليه. فسألته يا هذا الرجل: مَن أنت؟ فقال: سَلْ منصور[٧٥]. وإذا بمنصور خلفه. فقلت: يا بن عبدالله: مَن هذا؟ فقال: المرتعش[٧٦]. فقلت: أراه من اسمه مضطرًا لا مختارًا. فقال المرتعش: بقيت على الأصل والمختار مدّعٍ ولا اختيار. فقلت علامَ[٧٧] بنيت توحيدك؟ قال: على ثلاث قواعد. قلت: توحيد على ثلاث قواعد ليس بتوحيد، فخجل. قلت: لا تخجل. ما هي؟ قال: قصمت ظهري. قلت: أين أنت من سهل والجنيد وغيرهما وقد شهدوا بكمالي! فقال مجيبًا بقواعد توحيده:

رَبٌّ وفرد ونفي ضدّ قلت له: ليس ذاك عندي
فقال ما عندكم؟ فقلنا: وجودُ فَقْدي وفَقْدُ وَجدي
توحيد حقّي بترك حقّي وليس حقّي سواي وحدي
فقال: ألحقني بمَن تقدّم. فقلت: نعم. وانصرفت وهو يقول:
يا قلبُ سمعًا له وطوعًا قد جاء بالبيّنات بعدي
فالتفت إليه وقلت:
ظهرت في برزخ غريب فالربّ ربّي والعبد عبدي.

٣٤ - تجلّي العِزة

إن قيل لك: بماذا وحّدت الحقّ؟ فقل: بقبوله للضدّين معًا. فإن قيل

---

(٧٥) هو منصور بن عمار الواعظ، من أهل مرو. أقام بالبصرة. طبقات الشعرانيّ ١/ ٩٢.
(٧٦) هو عبدالله بن محمّد المرتعش النيسابوريّ، أبو محمّد توفّي عام ٣٢٨هـ. طبقات الشعرانيّ ١/ ١١٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٥.
(٧٧) في الأصل: على ما.

لك: ما معنى قبول الضدّين؟ فقل: ما من كون ينعت أو يوصف بأمر إلّا وهو مسلوب من ضدّ ذلك الأمر عندما يُنعت به من ذلك الوجه، وهذا الأمر يصحّ في نعت الحقّ خصوصًا، إذ ذاته لا تشبه الذوات، فالحكم عليه لا يشبه الأحكام، وهذا وراء طور العقل. فإنّ العقل لا يدري ما أقول. وربّما يقال لك هذا يحيله العقل. فقل: الشنآن[78] هنا. إذا صحّ أن يكون الحقّ تعالى من مدركات العقول حينئذ تمضي عليه أحكامها، لئن لم تنتهِ لتشقى شقاء الأبد. مالك وللحقّ أيّة مناسبة بينك وبينه في أيّ وجه نجتمع. أترك الحقّ للحقّ، فلا يعرف الحقّ إلّا الحقّ. يقول الحقّ: وعزّة الحقّ لا عرفت نفسك حتّى أجلّيك لك وأشهدك إيّاك. فكيف تعرفني؟ تأدّب فما هلك أمرؤ عرف قدره. إقتدِ بالمهتدين من عبادي.

٣٥ - تجلّي النصيحة

لا تدخل دارًا لا تعرفها، فما من دار إلّا وفيها مهاوٍ ومهالك. فمَن دخل دارًا لا يعرفها فما أسرع ما يهلك. لا يعرف الدار إلّا بانيها، فإنّه يعرف ما أودع فيها. بناك الحقّ دارًا له ليغمرها به. ما أنت بنيتها. ﴿أفرأيتم ما تُمنون، أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾[79]. فلا تدخل ما لم تبنِ فإنّك لا تدري في أيّ مهلك تهلك ولا في أيّ مهواة تهوي. قف عند باب دارك حتّى يأخذ الحقّ يدك ويمشيك فيك. يا سخيف العقل: أبشرك الفكر تقتنص طيره. أبخيول الطلب تدرك غزاله. أبسُهم الجهد ترمي صيده. مالك يا غافل. إرمِ صيدك بسهمك، فإن أصبته أصبته ولا تصيبه أبدًا. يا عاجزًا عن نفسه، كيف لك به، ما ظفرت يداك سوى التعب.

٣٦ - تجلّي لا يغرّنّك

يا مسكين مالك يُضرب لك المثل بعد المثل ولا تفكّر. كم تخبط في الظلمة وتحسب أنّك في النور. كم تقول أنا صاحب الدليل وهو عين الدليل، متى صحبك تعثر عليه. لا يغرّنّك اتّساع أرضه، كلّها شوك ولا

---

(٧٨) الشنآن هو البغض والكراهية.
(٧٩) الواقعة/٥٨-٥٩.

نعلٌ لك. كم مات فيها من أمثالك، كم فرّقت من نعالَ الرجال فوقفوا فلم يتقدّموا ولم يتأخروا فماتوا جوعًا وعطشًا.

٣٧ - تجلّي عمل في غير معمل

كم ماشٍ على الأرض والأرض تلعنه. كم ساجد عليها وهي لا تتبله. كم داعٍ لا يتعدّى كلامُه لسانه ولا خاطرُه محلّه. كم من وليّ حبيب في البِيَع والكنائس. كم من عدوّ وبغيض في الصلوات والمساجد. يعمل هذا في حقّ هذا وهو يحسب أنّه يعملُ لنفسه. حقّت الكلمة ورقنت الحكمة ونفذ الأمر، فلا نقصَ ولا مزيد. بالترد كان اللعب، لم يكن بالشطرنج، قاصمة الظهر وقارعة الدهر. حكمٌ نفذ لا رادّ لأمره ولا معقّب لحكمه. إنقطعت الرقاب، سقط في الأيدي، تلاشت الأعمال، طاحت المعارف، أملك الكون السلخ والخلع، يُسلخ من هذا ويُخلع على هذا[٨٠].

٣٨ - تجلّي الكمال

إسمع يا حبيبي: أنا العين المقصودة من الكون. أنا نقطة الدائرة ومحيطها. أنا مركّبها وبسيطها. أنا الأمر المنزّل بين السماء والأرض. ما خلقت لك الإدراكات إلّا لتدركني بها، فإذا أدركتني أدركت نفسك. لا تطمع أن تدركني بإدراكك نفسك، بعيني تراني ونفسك لا بعين نفسك تراني. حبيبي: كم أناديك فلا تسمع، كم أتراءى لك فلا تُبصر، كم أندرج لك في الروائح فلا تشمّ، وفي الطعوم فلا تطعم لي ذوقًا. ما لك لا تلمسني في الملموسات. ما لك لا تدركني في المشمومات. ما لك لا تبصرني. ما لك لا تسمعني. ما لك ما لك ما لك ما لك. أنا ألذّ لك من كلّ ملذوذ، أنا أشهى لك من كلّ مشتهى. أنا أسمى لك من كلّ حسن. أنا

---

(٨٠) في هذا التجلّي يبدو واضحًا الدعوة إلى التهذيب قبل فوات الأوان، حيث ينظر في أعمال بني آدم وقد قاموا بها دون أن يراد بها طاعة الله تعالى، فانكشف له يوم الحساب وما يقع فيه، حيث تجازى كلّ نفس، فإذا انقضت حسناته خُلع عليه من سيّئات غيره المستحقّ لها، كما يُسلخ منه حسناته لتُردّ إلى غيره المستحقّ لها.

الجميل، أنا المليح. حبيبي حُبّي لا تُحبّ غيري. إعشقني، هُمْ نيَّ لا تَهُمْ في سواي. ضمّني قبّلني، ما تجد وصولاً مثلي. كلّ يريدك له وأنا أريدك لك وأنت تفرّ منّي. يا حبيبي ما تنصفني إن تقرّبت إليّ تقرّبت إليك أضعاف ما تقرّبت به إليّ. أنا أقرب إليك من نَفَسك ونَفْسِك. مَن يفعل ذلك معك غيري من المخلوقين؟ حبيبي أغار عليك منك، لا أحبّ أن أراك عند الغير ولا عندك. كن عندي أكن عندك كما أنت عندي ولا تشعر. حبيبي: الوصال الوصال.

لو وجدنا إلى الفراق سبيلًا لأذقنا الفراق طعم الفراق.

حبيبي تعالَ يدي ويدك ندخل على الحقّ تعالى ليحكم بيننا حكم الأبد. حبيبي من الخصام ما يكون ألذّ الملذوذات وهو خصام الأحباب فتقع اللذّة بالمحاورة.

ولقد هممت بقتلها من حبّها كيما تكون خصيمتي في المحشر.

ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون لو لم يكن من فضل المخاصمة إلّا الوقوف بين يدي الحاكم. فما ألذّها من وقفة مشاهدة محبوب يا جان يا جان.

٣٩ - تجلّي خُلوص المحبّة

حبيبي قرّة عيني: أنت منّي بحيث أنا. لزيمي قسيمي تعالى الله، لا بل أنت ذاتي. هذا يدي ويدك أدخل بنا إلى حضرة الحبيب الحقّ بصورة الاتّحاد حتّى لا نمتاز فنكون في العين واحدًا. ما ألطفه من معنى، ما أرقّه من مزج. كأنّ هذا من الأسباب المعيّنة لسرعة الامتثال عند ورود الأمر بالسجود له، ولأنّ حقائقهم لا تعطي المنازعة والمخالفة. ولذا ربّما سمّوا عالم الأمر وليس عندهم نهي أصلًا حتّى لا تختلف الكلمة فيهم. فيهم الأمر المحض والخير المحض، وهم في اللذّة المحضة، خلقوا في مقاماتهم المعلومة فلم يكن لهم ترقّ، فإنّ في الترقّي تشويشًا ومكابدة. فهم المصونون فلم يكن لهم مانع يمنعهم من المبادرة لامتثال الأمر، ولم

يكن أيضًا هذا المأمور له بالسجود من جنسهم، كما قال تعالى: «قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنّين لنزّلنا عليهم من السماء ملكًا رسولًا»(٨١). وقال تعالى: «ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلًا»(٨٢). فليس يكبر أبدًا على غير الجنس خدمة مَن ليس من جنسه فإنّه ليس فيه حظّ من مرتبته، وعلى قدر ما تقترب المشاركة في الجنسيّة تقع الإباءة والحسد. هذا هو المعروف من الحقائق في ما يعطيه عالم الأمشاج والظلم، فاجتمع لأبليس أمران: الواحد أنّه لم يحضر موطن التعليم فيلزمه الخدمة بحكم العلم وهو من الجنس لأنّه من العالم العنصريّ وإن كان الغالب عليه النار(٨٣)، وغلّب ناره على نوره، فإنّ له في النورية صورة من حيث النفخ الشامل له ولغيره، كما أنّ آدم من العالم العنصريّ وإن كان الغالب عليه الطين فنوره غالب على طينه(٨٤)، فكان العالم المطيع. فلهذا الفرق النسبي والجنسيّة وقعت الإباءة والحسد وأخذ يفضّل بعض العناصر على بعض ولا مفاضلة فيها البتّة من حيث الذات، لأنّ كلّ ذات على حقيقة وإن كان بينهما الأمر الجامع وهي اليبوسة(٨٥). ولكن لما لم يجعله ترابًا وجعله طينًا وهو امتزاج الماء بالتراب نظر إلى عنصر الماء الذي هو نقيض ما افتخر به فأخذ يصادمه مصادمة الضدّ، فلهذا وقعت الإباءة منه ولحق بالأخسرين إلى يوم الدين، فهو العدوّ بالطبع الناصح بالعرض. فانظروا يا إخواننا ما أشرف الإنسان.

وأمّا المخالفة التي وقعت من هذا الخليفة فلم تقع منه من حيث ذاته ولا من حيث مرتبته وإنّما وقعت من حيث إنه كان حاملًا للموافق والمخالف وقبضة جامعة للطائع والعاصي، فتحرّك النَّسَبُ المخالف منه

(٨١) الإسراء/ ٩٥.
(٨٢) الأنعام/ ٩.
(٨٣) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿وخلق الجانّ من مارج من نار﴾. الرحمن/ ١٥.
(٨٤) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾. الرحمن/ ١٤.
(٨٥) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾. الأعراف/ ١٢.

بالمخالفة لأنّ الجنّة ليست موطنه فهو يتضرّر بها كما تضرّ رياح الورد بالجُعْل[٨٦] فكانت سببًا لخلافته وتمييزًا لقبضتين منه في دار المزج، فانقلب فريق السعادة إلى الجنّة وفريق الشقاوة إلى النار، حتّى لو رام أهل النار الذين هم أهلها أن يدخلوا الجنّة ما استطاعوا ولجروا إلى النار جري الحديد للمغناطيس، وكذلك أهل الجنّة. وهذا لا يعرفه إلّا طائفتنا لا غير. وقد أشار النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إشارة لطيفة إلى ذلك علمها من علمها: «إنّكم لتتقحمون في النار وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تأبون»[٨٧]. وأخبرنا ثقات أنّ ببلاد اليمن طائفة يسمّون أولاد أمّ عيسى إذا عاينوا الضبع لا يتملّكون أن يرموا أنفسهم عليه حتّى يأكلهم. ورأيت أنا من صلحائهم واحدًا، وهو انزعاج يقتضيه طبعهم المناسب للمنجذب إليه كذلك أصحاب النار. فافهموا فإنّ الأسرار لا تحتمل فوق هذا الكشف رتبة، فكانت مخالفة حكمة لنهي حكمة لا مخالفة حُكم لنهي حُكم. والله يتولّانا وإيّاكم بما تولّى به عباده الصالحين.

إنتهى بعض العرض من هذا الكتاب على حسب الوقت، والحمد لله، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

نقله من خطّ مؤلّفه رضي الله عنه الفقير إلى رحمة الله تعالى عبدالله ابن علي بن أحمد الخولانيّ الأشبيليّ الأندلسيّ، وذلك ليلة الخميس السابع من شهر صفر سنة ستّ وستماية، بمدينة حلب عمّرها الله. وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

---

(٨٦) حشرة صغيرة تغتذي وتعيش على أغصان الورد.

(٨٧) أخرجه البخاريّ في صحيحه ٨/ ١٢٧، مسلم في صحيحه رقم ١٧-١٨-١٩، أحمد في المسند ٢/ ٣١٢، ٣/ ٣٦١، الهيثميّ في مجمع الزوائد ٦/ ٢٥٤، الزبيديّ في إتحاف السادة المتّقين ٩/ ٩٤.

صدر عن دار المشرق











